مقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف المرسلين سيدنا محمد الصادق الأمين صلى الله عليه وسلم. هذه دراسة عن أسواق مدينة فاس في عصر الدولة المرينية (٦٤٦-٨٦٩هـ/١٢٤٨-١٤٦٥م) تلك الدولة التي قامت في المغرب الأقصى في النصف الثاني من القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي . وقد كان للمرينيين دور هام في مدينة فاس حيث اهتموا بكل مظاهر الحياة الاقتصادية بما فيها الاسواق إلى جانب اهتمامهم بكل جوانب الحياة الثقافية والاجتماعية والدينية ، هكذا نقل المرينيون المغرب الأقصى من الفوضى والاضطراب والتدهور الذي أصاب هذه البلاد أواخر عهد الموحدين إلى الأمن والاستقرار .

أسباب اختيار الموضوع :

يرجع اختيار هذا الموضوع إلى أهمية مدينة فاس وأسواقها ، حيث لعبت هذه المدينة وأسواقها دورا كبيرا في تاريخ بلاد المغرب بوجه عام ، وتاريخ المغرب الأقصى بوجه خاص ، عبر تاريخها الطويل وخاصة في العصر المريني ،نظرا لموقعها الجغرافي ومؤهلاتها الاقتصادية ، ومكانتها السياسية . وقد ساهمت هذه الأسواق بشكل كبير في الازدهار الاقتصادي للدولة المرينية ، وأسهمت الحركة التجارية لأسواق هذه المدينة في انفتاحها على كافة أسواق مدن المغرب والأندلس ، بالإضافة إلى أسواق السودان الغربي . وقد أصبحت هذه المدينة بفضل هذا الانفتاح مركزا تجاريا مهما ، ومن هنا جاء التفكير في دراسة أسواق فاس في العصر المريني.

كما أن دراسة الأسواق تعين في التعرف على كافة مظاهر الحياة الاقتصادية التي تؤثر على كافة نواحي الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية . فالأسواق في مدينة فاس تعد مرآة لمجتمع مدينة فاس في العصر المريني .

واذا كانت هناك دراسات عن الحياة الاقتصادية بالمغرب الأقصى خلال العصر المريني إلا أنها لم تتعرض للمدينة وأسواقها ومدى تأثر هذه المدينة بالحركة التجارية واقتصاد الدولة المرينية وايضا لم تعرض للعاملين بالأسواق وحياتهم الاجتماعية . وتوجد بعض المقالات والدراسات العامة عن تاريخ المغرب العام وعن الدولة المرينية خاصة ولا نجد دراسة بأسواق مدينة فاس.

وقد كان لمدينة فاس في العصر المريني رونقا خاصا بها حيث كانت هذه المدينة مركزا للحكم والإدارة مما أعطى لها مظهرا حضاريا هاما وحظيت باهتمام كل من كان قائما على الحكم المريني خلال فترة حكمهم ، من بداية الدولة حتى نهايتها .

ومن هنا أتى اختياري لموضوع "أسواق فاس في العصر المريني " (٦٤٦-٨٦٩هـ/ ١٢٤٨-١٤٦٥م) كأطروحة لنيل الماجستير .

الفترة الزمنية للدراسة:

الجدير بالذكر أن التحديد الزمني لبداية فترة الدراسة هو ٦٤٦هـ/١٢٤٨م يختلف عن التحديد الزمني لسقوط دولة الموحدين وقيام دولة المرينيين ، ذلك أن المؤرخين اعتمدوا عام ٦٦٨هـ/١٢٧٠م لسقوط دولة الموحدين بعد أن استولى المرينيون على عاصمتهم مدينة مراكش. لكننا اعتمدنا عام ٦٤٦هـ/١٢٤٨م بداية الدراسة ففي هذا العام انتقلت تبعية فاس من الموحدين إلى المرينيين ، أما عام ٨٦٩هـ/١٤٦٥م فتنتهي الفترة الزمنية للدراسة بسقوط الدولة المرينية .

اعتمدت في معالجة الموضوع على جمع المادة التاريخية من مصادرها المعاصرة أو القريبة من فترة الدراسة، والمراجع العربية والمعربة فضلا عن المراجع الأجنبية ، وذلك بهدف رسم رؤية متكاملة عن أسواق مدينة فاس في العصر المريني ، وإبراز أسواق فاس ومدى تأثيرها على اقتصاد الدولة المرينية.

وقد قسمت الباحثة هذه الدراسة إلى فصل تمهيدي وخمسة فصول، وجاء الفصل التمهيدي بعنوان "أحوال أسواق مدينة فاس في فترة الانتقال من الموحدين إلى المرينيين" عرضت فيه الباحثة أحوال أسواق مدينة فاس أواخر عصر الموحدين وقبيل قيام دولة بني مرين ثم تناولت بإيجاز قيام الدولة المرينية وتأسيس فاس الجديد.

وفى الفصل الأول ، والذي جاء بعنوان "المقومات الطبيعية والبشرية لازدهار أسواق فاس" حاولت الباحثة فيه توضيح المقومات الطبيعية لازدهار هذه الأسواق من بيئة جغرافية وبيئة زراعية ورعى وغابات ووفرة المواد الخام .

وكذلك المقومات البشرية كالوضعية السياسية للمدينة ، والنمو السكاني الديموجرافى، وازدهار النشاط الحرفي والصناعي وأخيرا المنشآت التجارية والطرق والمواصلات .

وحمل الفصل الثاني عنوان"أسواق فاس ونشاطها التجاري الداخلي" وفيه استعرضت أنواع الأسواق وتنظيماتها ، وموقع هذه الأسواق وإدارتها ، والعاملين في هذه الأسواق ، وتوضيح السلع التجارية بأسواق مدينة فاس .

أما الفصل الثالث فجاء بعنوان "علاقة أسواق فاس بالأسواق الخارجية " وقد تناولت فيه العلاقات الخارجية لأسواق فاس وأسواق مدن المغرب الأقصى ومدن المغرب الأوسط ومدن المغرب الأدنى ، وعلاقة أسواق فاس وأسواق مدن مصر والحجاز ، وعلاقة أسواق فاس وأسواق مدن الأندلس والمدن النصرانية وأخيرا علاقة أسواق فاس وأسواق مدن السودان الغربي ، ومدى تأثير هذه العلاقات على أسواق فاس وثرائها التجاري والاقتصادي .

وتناول الفصل الرابع "المعاملات المالية والتجارية في أسواق فاس"والتي اشتملت على المقايضة و النقود والصكوك والحوالات والموازين والمكاييل والمقاييس والأسعار ومدى اهتمام الدولة المرينية بالمعاملات المالية ودورها فى الحفاظ على العملات من التزييف والنقص ، وتعيين العاملين بدار السكة المرينية لصحة الوزن وجودته وعدم وجود حالات للغش بالأسواق ، ومراقبة اليهود العاملين بالصرافة داخل الأسواق .

وأخيرا جاء الفصل الخامس بعنوان "الحياة الاجتماعية للعاملين في الأسواق" وعرض هذا الفصل للعناصر السكانية للعاملين في الأسواق و الوضع الاجتماعي للعاملين في الأسواق. و اثر المحن والكوارث على العاملين في الأسواق والتي اشتملت على محن الفتن والاضطرابات (السياسية والاجتماعية) ومحن المجاعات والأوبئة ، ومدى تأثير هذه المحن في انهيار الدولة المرينية وزوال مُلكها من مدينة فاس خاصة والمغرب والأندلس عامة . وكان هذا الفصل من أصعب فصول الرسالة فبالرغم من العدد الكبير من المصادر التي تناولت تاريخ المغرب الأقصى إلا أن غالبية المصادر اهتمت بالجانب الاقتصادي وأهملت الجانب الاجتماعي لهذا اعتمدت الدراسة بشكل كبير على استنتاج مابين ثنايا المصادر واستنباطها .

وفى الخاتمة تم عرض أهم نتائج البحث.

عرض لأهم المصادر والمراجع :-

المصادر التاريخية:

اعتمدت الدراسة على مجموعة كبيرة من المصادر الأصلية، منها ما هي مخطوطة، ومنها هي مطبوعة ، بالاضافة الى بعض الوثائق والعديد من المراجع الحديثة التي تناولت موضوع البحث من قريب أو بعيد. وبالنسبة للوثائق فقد اطلعت على وثائق التاج الارغونى .

"Los Documents Arabs Dipsomaniacs Del Archivo De Lacorona De Aragon Maximilian, A. AlarconY Santon, and Ramon Carcia De, Linareseds. Madria Imprenta de Estanislao Maesre, 1940".

وهى مجموعة من الوثائق العربية الدبلوماسية ضمن مخطوطات مكتبة أرغون وهى من الوثائق العربية التي جمعها المستشرقان الاسبانيان الاركون وكارسيا ، والتي احتوت على المراسلات التي تمت بين الدولة المرينية ومملكة أرغون والتى تناولت معاهدات تجارية بين الطرفين وقد ساهمت هذه المعاهدات والمراسلات التي أبرمت بين الطرفين ، في إنعاش الحركة التجارية لأسواق مدينة فاس ، ومن اهم الوثائق التى استعنت بها فى الدراسة الوثيقة رقم ٥٠ والتى اوضحت المشاكل التى يتعرض لها التجار فى البحر من قرصنة ، والاتفاق الذى انعقد بين السلطان المرينى عبد الله فارس والسلطان الارغونى لمواجهة هذه الظاهرة .

والى جانب ذلك استعنت بالوثيقة رقم ١٤٦ والتى اظهرت التعاون بين السلطان المرينى عبد الله فارس وصاحب ارغون لحماية التجار من مخاطر العبور من والى مدينة فاس.

وبالنسبة للمخطوطات، فقد اطلعت على مخطوطة "خطط مدينة فاس " لمؤلف مجهول، وهى إحدى مخطوطات الهيئة المصرية العامة للكتاب ، تحت رقم ٦١ بلدان ، وميكروفيلم رقم ٢٩٩٨٩ وقد اعانتنى هذه المخطوطة في توضيح كيفية تأسيس مدينة فاس .

واطلعت على مخطوطة أخرى وعنوانها "رسالة في ذكر من أسس مدينة فاس" لمؤلف مجهول، مخطوطة فى الهيئة المصرية العامة للكتاب ،تحت رقم ٩٧٣٢ح ، ميكروفيلم ١٩٨٨ وتناولت هذه المخطوطة تأسيس المدينة والدول التي عاصرت المدينة منذ تأسيسها إلى قيام الدولة المرينية .

كما استفادت الباحثة من مخطوطة بعنوان " الجمان في أخبار الزمان" تـأليف محمـد الشطيبى المغربي وهى إحدى مخطوطات الهيئة المصرية العامة للكتاب، تحت رقـم ١٤١٦ تاريخ ، وقد أسهمت في توضيح المدينة وما بها من انهار وعيون واقسام هذه المدينة .

اولا : مصادر تاريخية مطبوعة

أما المصادر المطبوعة ، وخاصة المعاصرة للأحداث ، فمن حسن حظ الباحث في تاريخ الدولة المرينية أن احتضن البلاط المرينى بعض كبار المؤرخين من أمثال ابن خلدون ، وابن الأحمر وابن الخطيب ، وابن مرزوق التلمسانى ، وابن الحاج النميـرى ، وابـن ابـى زرع وغيرهم من ثقات المؤرخين ، لهذا جاءت مؤلفاتهم سجلا حافلا بتاريخ تلك الفترة .

ومن المصادر المهمة كتاب "الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس " لمؤلفه ابن أبى زرع (أبى الحسن على بن عبد الله الفاسى) والمتـوفى بعد عام ٧٢٦هـ/١٣٢٦م . وهو كتاب عام لتاريخ المغرب الأقصى ويبدأ مـن قيـام دولـة الادارسة (١٧٢هـ/٤٨٨م) وينتهي بأحداث عام ٧٢٦هـ/١٣٢٦م ، دار المنصور للطباعة بالرباط في عام ١٩٧٢ ، وهو من أهم الكتب لاستعراضه تاريخ الدولة المرينية وانجازاتها ، حيث انه كان معاصرا للدولة المرينية . وقد استفدت كثيرا من هذا الكتاب في جميع فـصول الرسالة حيث رصد ابن أبى زرع مدينة فاس من حيث عدد الدور والحوانيت الموجودة بهـا خلال العصر الموحدى والتي أمدتنا بمعلومات عن المدينة والسلع الموجودة إلى جانب رصـد المجاعات والأوبئة التي أصابت مدينة فاس خلال العصر المرينى والتي كان لها اثـر كبيـر على أسواق مدينة فاس والعاملين بها .

واعتمدت أيضا على مؤلف أخرلابن ابى زرع وهو كتاب" الذخيرة السنية في تـاريخ الدولة المرينية" وقام بتحقيقه عبد الوهاب بن منـصور ونـشر بـدار المنـصور للطباعـة عام١٩٧٢م، وتناول فيه الحديث عن بني مرين وقيام دولتهم وقبائلهم .

واطلعت الباحثة على كتاب "زهرة الأس في بناء مدينة فاس "لمؤلفه أبى الحسن علـى الجزنائى ، كان على قيد الحياة عام ٧٦٦هـ/ ١٣٦٤م وهو من تحقيق الدكتور عبد الوهاب بن منصور ، ونشر بالمطبعة الملكية ، الرباط عام ١٩٧٢م وهو من كتب البلـدان المهمـة حيث استفدت منه في ذكر من أسس مدينة فاس والجوانب الحضارية لمدينة فاس ، وعـرض للكثير من مظاهر الحياة الاقتصادية لهذه المدينة في عهد الدولة المرينية .

وتعد مؤلفات المؤرخ الاندلسى والأديب لسان الدين بن الخطيب المتوفى عام ٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م ، من المصادر المهمة التي اعتمدنا عليها ،حيث أتاح له مركزه السياسي كوزير فرصة للاطلاع على الوثائق والمراسلات الرسمية المحفوظة بقصر الحمراء ، واستخدام مادتها في مؤلفاته التاريخية ، وابرز هذه المؤلفات كتاب "الإحاطة في أخبار غرناطة " وقام بتحقيقه الدكتور محمد عبد الله عنان ، ونشر بمكتبة الخانجى عام ١٩٧٣م وهو من كتب التراجم المهمة وهو يتسم بالدقة والسلاسة والترتيب لعرض الأحداث وقد افادنى في الجوانب الحضارية للدولة .

أما كتاب "كناسة الدكان بعد انتقال السكان " وقد قام بتحقيقه محمد كمال شبانه، ونشر بدار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، وقد استفدت منه في التعرف على الحياة الاجتماعية ونتائج الثورات التي قامت بمدينة فاس .

كما اطلعت الباحثة على كتاب "معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار" قام بتحقيقه محمد كمال شبانه ونشر بصندوق إحياء التراث الاسلامى المشترك بين المملكة المغربية والأمارات، وهو عبارة عن رسالة كتبها ابن الخطيب في وصف البلدان المغربية والأندلسية .

ويعتبر كتاب المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبى الحسن ، لأبى عبد الله بن مرزوق الخطيب التلمسانى (ت عام ٧٨١هـ/١٣٧٩م) الذي قام بتحقيقه ماريا خيوس بيغرا ، ونشر بالشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر عام ١٩٨١م ، من المصادر المهمة أيضا ، حيث أن مؤلفه التحق بخدمة السلطان أبى الحسن المرينى الذي ترجم له ، ولعصره وقد أمدنا بمعلومات عن اهتمامات أبى الحسن المرينى بمدينة فاس وأسواقها والطرق التجارية وتمهيدها للمسافرين ، واهتمامه أيضا بالمظاهر الحضارية بمدينة فاس .

كما اعتمدت الباحثة على كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر. لابن خلدون ، المتوفى عام ٨٠٨هـ/١٤٠٥م . وهو من المصادر الهامة لاحتوائه على تاريخ الدولة المرينية وقد عاصر ابن خلدون الدولة وتحدث فيه عن أحداثها ووقائعها ، ووفر لنا معلومات ثرية عن الدولة المرينية وأصولهم وبيئتهم وخاصة بالجزء السابع والذي تحدث فيه عن الجوانب الاقتصادية والاجتماعية بدقة ووضوح .

لدينا كذلك مؤلفات المؤرخ النسابة أبى الوليد بن الأحمر(المتوفى عام ٨١٠هـ/١٤٠٧م) كتاب "روضة النسرين في دولة بني مرين " والذي قام بتحقيقه الدكتور عبد الوهاب بن منصور، عام ١٩٩١م ، فقد افادنى في معرفة نسب بني مرين ، وأخبار العاملين بالإدارة في الدولة المرينية . وكتاب "بيوتات فاس الكبرى" والذي اعاننى في توضيح العناصر السكانية وبيوتات فاس التي كونت مجتمع فاس والعناصر العاملة بالأسواق . وكتاب " النفحة النسرينية واللمحة المرينية " وقام بتحقيقه عدنان محمد آل طعمه ، ونشر بدار سعد الدين ، بعين الكرش دمشق عام ١٩٩٢م ، وهو عبارة عن أرجوزة مختصرة في تاريخ الدولة المرينية ، وأوضح بها تاريخ الملوك والأمراء وأعمالهم .

وقد استفادت الباحثة من كتاب لمؤلف مجهول اندلسى من أهل القرن الثامن الهجري بعنوان " الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية" قام بتحقيقه الدكتور سهيل زكار والاستاذ عبد القادر زمامه ، ونشر بدار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء عام ١٩٧٩م ويعتبر من أهم المصادر التي افدتنى في نسب بني مرين ونهاية الدولة الموحدية وتتبع الصراع بين الموحدين وبني مرين حتى استقرارهم في حكم المغرب الأقصى .

ويعتبر كتاب "كشف القناع عن تضمين الصناع "لأبى الحسن المعدانى (المتوفى عام ١١٤٠هـ/١٧٢٨م) تحقيق محمد أبو الأجفان ونشر بالدار التونسية ، تونس عام ١٩٨٦م وقد أمدنا بمعلومات هامة عن الصناع العاملين بالأسواق كالسماسرة والدلالين والحمالين .

ومن المصادر الهامة أيضا كتاب " نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب "لأبى العباس احمد المقري التلمسانى المتوفى عام (١٠٤١هـ/١٦٣١م) وقام بتحقيقه احسان عباس، ونشر بدار صادر بيروت عام ١٩٦٨م ، ويعتبر من المصادر التي لا غنى عنها في دراسة تاريخ المغرب والأندلس ، وقد استفدت منه في معرفة الكثير من الأندلسيين الذين هاجروا إلى مدينة فاس خلال العصر المرينى وكان لهم دور كبير في ازدهار أسواق مدينة فاس.

بجانب ذلك كتاب "فضالة الخوان في طيبات الطعام والألوان " لمؤلفه ابن رزين التجيبى وقد قام بتحقيقه محمد بن شقرون ، الرباط ١٩٨٨م وقد أمدنا هذا الكتاب بمادة كثيرة عن أنواع الأطعمة التي تباع بأسواق مدينة فاس والحياة الاجتماعية للعاملين بالأسواق فقد كان معاصرا لبداية الدولة المرينية .

ثانيا : الموسوعات التاريخية

ومن الموسوعات المهمة كتاب " صبح الأعشى في صناعة الانشا " لأبى العباس احمد القلقشندى (المتوفى ٨٢١هـ/ ١٤١٨م) ونشر بقصور الثقافة بالقاهرة ٢٠٠٥م ، فيعرض في كتابه لمعلومات تاريخية وجغرافية عن بلاد المغرب الأقصى ، ففي الجزء الخامس تحدث عن مدينة فاس من حيث أنهارها وأسواقها وسلعها التجارية الخاصة بها ، والمكاييل والموازين والعملة ، والأسعار والمراسلات التي تبادلها سلاطين الدولة المرينية مع سلاطين المماليك بمصر .

ثالثا: كتب خاصة بالتراجم

ومن ابرز هذه المصادر كتاب "جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس" تأليف أبى العباس احمد بن محمد المكناسى بن القاضي ، (المتوفى عام ١٠٢٥هـ/ ١٦١٦م) وقام بتحقيقه عبد الوهاب بن منصور ، ونشر بدار المنصور للطباعة عام ١٩٧٣م ، وهو كتاب تراجم مهم لمدينة فاس وقد تميز بسهولته ودقته في عرض الأحداث ، وقد استفدت منه في معرفة العناصر السكانية المكونة لمجتمع فاس.

رابعا: كتب الجغرافيا والرحلات

من أهم كتب الجغرافيا كتاب "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" لمؤلفه أبى عبد الله بن محمد بن عبد الله الادريسى (المتوفى عام ٥٦٠هـ/١١٦٥م) ونشر بمكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ١٩٨٠م وترجع أهمية هذا الكتاب إلى انه قدم لنا معلومات مهمة عن المدن والقرى والأمصار المغربية والأندلسية ومسافاتها وطرقاتها ، وأمدنا أيضا بمعلومات اقتصادية مهمة عن الزراعة والمحاصيل التي بمدينة فاس ومدن المغرب الأقصى ، والتي أوضحت لنا السلع التجارية الهامة بأسواق مدينة فاس والى جانب ذلك ابرز العلاقات التجارية بين مدن المغرب بعضها البعض من جهة وبينها وبين مدن الأندلس وبلاد السودان من جهة أخرى .

وترجع أهمية كتاب " الروض المعطار في خبر الأقطار " تأليف أبو عبد الله بن عبد المنعم الحميري الاندلسى المتوفى عام (٧٢٧هـ/١٣٢٦م) وقام بتحقيقه ليفي بروفنسال ، ونشر بدار الجيل ببيروت ، إلى انه مصدر جغرافي مهم يصف الأقطار والمدن ، وما تتميز به من مميزات جغرافية ، وبجانب ذلك يعد مصدرا تاريخيا يذكر الأخبار والوقائع .

بالإضافة إلى كتب الجغرافيا فقد استفادت الباحثة أيضا من كتب الرحلات ، ومن أبرزها كتاب " تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار" المعروف برحلة ابن بطوطة ، ومؤلفها هو محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي (المتوفى عام ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م)والذي قام بتحقيقه محمد عبد المنعم العريان وراجعه مصطفى القصاص ، ونشر بدار إحياء التراث ببيروت عام ١٩٧٢م ، أما عن المعلومات التي تقدمها الرحلة ، فهي معلومات ليست ذات طابع جغرافي وصفى فقط ، ولكنها تمثل معلومات ذات طابع اجتماعي أيضا، فيصف عادات ومظاهر الاحتفالات الخاصة بالشعوب والقبائل أ ومعلومات ذات طابع ثقافي واقتصادي حيث يصف المدن التي مر بها خلال رحلته .

كما افادتنى مؤلفات ابن الحاج النميرى إفادة كبيرة حيث عمل في خدمة بني مرين وبني الأحمر وبني حفص ، مما أتاح له معرفة الكثير من مجريات الأمور الخاصة بتلك الدول ، ومن أبرزها كتاب " فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة وبلاد الزاب" وقام بدراسته محمد بن شقرون ، ونشر بدار الغرب الاسلامى ببيروت عام ١٩٩٠م ، واشتمل على عدد كبير من المراسلات والمعاهدات بين سلاطين بني مرين وسلاطين الدول النصرانية .

واستفادت الباحثة من كتاب" وصف أفريقيا " تأليف الحسن بن محمد الزيات الوزان المعروف بليون الإفريقي (ت عام ٩٦٠هـ/١٥٥٢م) ترجمه محمد حجي وآخرون ، ونشر بدار الغرب الاسلامى ، بيروت عام ١٩٨٠م ، وهو كتاب مهم في الرحلات وهو واضح الأسلوب وقد استفدت منه في الجوانب الحضارية الخاصة بأسواق مدينة فاس، وأماكن تواجدها وأوقاتها والسلع المعروضة بالأسواق وأنواع هذه الأسواق .

خامسا : كتب النوازل والحسبة

هي مصدر مهم لا غنى عنه للباحث في تاريخ المغرب وحضارته . فهي سجل كامل لسائر مناحي الحياة التاريخية ، والسياسية ، والاجتماعية ، والعمرانية التي قد تتجاهلها كتب التاريخ الأخرى.

وقد استفادت الباحثة من نوازل القاضي احمد بن يحيى الونشريسى (المتوفى عام ٩١٤هـ/ ١٥٠٨م) والمعروفة باسم "المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب "وقام بنشره وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ، بالرباط عام ١٩٨١م، وتأتى أهمية هذا المصدر في اتساع نطاقه زمانا فيتناول نوازل من أواخر القرن

الثاني الهجري إلى القرن العاشر الهجري ، ومكانا من حيث أنها تتعلق بكل مدن بلاد المغرب من أدناها إلى أقصاها وكذلك الأندلس ، وموضوعا فهي تتناول موضوعات عديدة في شئون الحياة شتى . واستفدت منه كثيرا في إعداد البحث حيث وجد به مادة ثرية عن أنواع المعاملات التجارية والمالية بأسواق مدينة فاس ، ووفر لنا مادة عن التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمدينة تتميز بالوضوح والصدق ، حيث أورد لنا عدد كبير عن حالات الغش بالعملات ومظاهر الفساد والاحتكار وأنواع الضرائب والمكوس بأسواق مدينة فاس .

بالإضافة إلى كتب النوازل استفادت الباحثة من كتب الحسبة والتى من اهمها كتاب " معالم القربة فى احكام الحسبة " لابن الأخوة (المتوفى عام ٧٢٩هـ/ ١٣٢٨م) وقام بتحقيقه محمد شعبان وصديق المطيعى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة عام ١٩٧٦م ويعتبر من أهم الكتب التي تحدثت عن الحسبة ودور المحتسب فى مراقبة العاملين داخل الاسواق .

وقد استفادت الباحثة ايضا من كتاب " رسالة فى القضاء والحسبة " لابن عبدون (كان حيا في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي) وقام بتحقيقه ليفى بروفنسال ، بالمعهد الفرنسي للآثار الشرقية ، القاهرة عام١٩٥٥م ، ويعتبر هذا الكتاب من الكتب الهامة حيث امدنا بمعلومات وفيرة عن تنظيم الاسواق ومراقبة دور السكة وكيفية تنظيمها .

بالإضافة إلى كتاب "نهاية الرتبة في طلب الحسبة " للشيرازي ، وقد قام بنشره الباز العرينى ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ،القاهرة١٩٤٦م ، وقد أمدنا بمعلومات قيمة عن الحسبة وتعريفها ودور المحتسب بالأسواق ودور العاملين للحفاظ على الأسواق .

سادسا: كتب العملة والمكاييل والموازين

ومن المصادر الهامة كتاب "الدوحة المشتبكة في ضوابط السكة" تأليف أبو الحسن الحكيم المتوفى في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري، وقد حققه حسين مؤنس ، ونشر بدار الشروق ، القاهرة عام ١٩٨٦م . وقد استفدت من هذا الكتاب في توضيح دور السكة بمدينة فاس والعاملين بها واختصاصاتهم ، والعملات المرينية وأوزانها ودور المحتسب في الأسواق، فضم معلومات هامة عن الحياة الاقتصادية بمدينة فاس.

بالإضافة إلى كتاب " إثبات ما ليس منه بد لمن أراد الوقوف على حقيقة الدينار والدرهم والصاع والمد" لابى العباس احمد السبتى (المتوفى عام ٦٣٣هـ/١٢٣٦م) وقد قام بتحقيقه محمد الشريف ، من منشورات المجمع الثقافي ، الإمارات المتحدة عام ١٩٩٩م ، وهو من الكتب الهامة التى ساعدت فى توضيح الموازين والمكاييل الخاصة بعملية البيع والشراء فى الاسواق .

المراجع العربية الحديثة والمعربة:

استفادت الباحثة من بعض المراجع الحديثة، والتي اهتمت بشكل خاص بعصر الدولة المرينية، وخاصة مؤلفات العلامة الكبير محمد المنونى وخاصة كتابه المهم "ورقات عن حضارة المرينيين " من أهم الكتب التي تحدثت عن الدولة المرينية ، فقد استفدت من هذا الكتب استفادة كاملة خاصة في أسواق مدينة فاس ، حيث تحدث عن بني مرين وقيام دولتهم وحياتهم الاجتماعية والاقتصادية ، وعن المعاملات المالية والتجارية بمدينة فاس .

واستفادت الباحثة من كتاب " تاريخ المغرب الاسلامى والأندلس في العصر المرينى " لمؤلفه الاستاذ الدكتور محمد عيسى الحريري الذى يعد اول من افرد مؤلفا عن الدولة المرينية ، فقد زودنا هذا الكتاب بمعلومات اقتصادية واجتماعية كثيرة وكذلك رصد للثورات التي قامت ضد الدولة المرينية خلال فترة حكمهم لمدينة فاس .

كما استفادت الباحثة من كتاب" الحرب والطبيعة في المغرب الأقصى عصر بني مرين " للدكتورة سامية مصطفى مسعد حيث اعطانى معلومات هامة عن الحياة الاجتماعية للدولة المرينية ، والثورات والفتن التي حدثت بمدينة فاس والأمراض والأوبئة التي أثرت على أسواق مدينة فاس .

كما استفادت الباحثة أيضا من كتاب "المغرب عبر التاريخ "للدكتور إبراهيم حركات حيث اتسم الكتاب بوفرة المعلومات وبساطته في عرض الأحداث ، واستفدت منه في عرض أصل بني مرين والعناصر السكانية والاضطرابات السياسية والطبيعية التي اعترضت أسواق مدينة فاس .

ولا نستطيع في هذا الصدد أن نتجاهل كتاب عبد الهادي التازى "التاريخ الدبلوماسي للمغرب الأقصى من أقدم العصور إلى اليوم " ويقع في عشرة أجزاء، أهمها الجزء السابع الخاص بالدولة المرينية ، وترجع أهمية هذا الكتاب إلى أن مؤلفه عرض فيه للعلاقات

الخارجية لدولة بني مرين عرضا تفصيليا دقيقا ، محللا ومستنتجا للعديد من الظواهر ، وقد استفدت منه في علاقة أسواق فاس بالأسواق الخارجية .

كما تميز كتاب "اللباس المغربي من بداية الدولة المرينية إلى العصر السعدي" لمؤلفه محمد مُقر ، بأنه من أهم الكتب التي قامت بوصف الملابس الخاصة بالعاملين في الأسواق .

المراجع الأجنبية:

بالإضافة إلى المراجع العربية ، فد استفادت الباحثة من بعض المراجع الأجنبية، وخاصة وان هناك بعض الموضوعات أهملتها المراجع العربية وتناولتها تلك المراجع بشيء من التفصيل مثل ما يتعلق بموضوع العلاقات بين أسواق فاس وأسواق مصر ، فعن هذا الموضوع استعانت الباحثة بكتاب

Fez City of Islam, translated from German by willam stoddart, the Islamic texts society Cambridge 1992.

لمؤلفه بوركهات Burck hardt . حيث عرض أنواع الأسواق بمدينة فاس في العصر المرينى ومواقع الأسواق وأنواع السلع بالأسواق .

بالإضافة إلى دراسة ماس لاترى M.L. Demas Latrie التي عرض فيها عن العلاقات بين أسواق فاس وأسواق الأندلس والدول النصرانية بعنوان

Trates de Paix et de Commerce, Les rolations des chretiens Arabs de L'Afrique SePtentrionale, Paris, 1866. وأخيرا تمت الإفادة من مقالة بول باسكون : Paul Pascon وهى بعنوان description des mudd et s A' Maghreb Ins, Hesperis. Tamuda 1975.

وقد أبرزت هذه المقالة المعاملات المالية بأسواق مدينة فاس .

الدوريات والمقالات:

واعتمدت على عدد من المقالات المتنوعة والدوريات وكان أهمها مجلة كلية الاداب والعلوم الانسانية بالمغرب العدد ١٦ لسنة ١٩٩١ بالرباط ، والذى ضم مقالة بعنوان، "الطاعون الأسود بالمغرب في القرن ١٤م" للدكتور محمد الأمين البزاز ، والتي أوضحت

الأوبئة والأمراض التي أصابت مدينة فاس في القرن الرابع عشر الميلادي وتأثيرها على الحياة الاقتصادية بمدينة فاس .

ومن المقالات الهامة مقالة بعنوان " الحياة الاقتصادية في العصر المريني" للدكتور إبراهيم حركات المنشورة بمجلة كلية الاداب الرباط عام ١٩٧٨م ، تضمنت هذه المقالة الحياة الاقتصادية وأظهرت دور سلاطين بني مرين في الاهتمام بالمشروعات الاقتصادية بمدينة فاس والتي ساعدت بدورها في ازدهار الأسواق .

وأيضا مجلة كلية الاداب والعلوم الانسانية بفاس والتى صدرت عام ١٩٨٥/١٩٨٦م وهو عدد خاص ، ومن أهم مقالتها والتي حملت عنوان "صناعة النسيج فى المغرب الوسيط " للدكتور عبد العزيز العلوى ، وقد وفرت لنا معلومات هامة عن صناعة النسيج والصناعات التى تعلقت بالنسيج وانواع المنسوجات سواء الصوفية او القطنية .

وقد وفرت الدوريات المغربية مادة جديدة للبحث ومنها مجلة دعوة الحق ، ومجلة البحث العلمي ، ومجلة المناهل ، إلى جانب عدد من الندوات ومنها ندوة فاس وإفريقيا والتي أعطتنا معلومات هامة عن الأسواق بمدينة فاس وأنواع الأسواق والفنادق التي يقيم بها التجار، ومن أهم هذه المجلات ، مجلة دعوة الحق والتي من أهم أعدادها العدد١،٢السنة ١٤ ، عام ١٩٧١م والتي من أهم مقالتها ، مقال حمل عنوان "حول أسماء الحرف المعروفة في مدينة فاس "للمؤلف عبد السلام بن سوده ، وقد افادتنى في معرفة أنواع الحرف والعاملين بها واهم السلع بأسواق مدينة فاس .

وأخيرا هذه محاولة متواضعة لإبراز أسوق مدينة فاس في العصر المرينى . واعلم اننى في بداية الطريق وأتقدم بالاعتذار عن اى هفوات وردت في الرسالة، وحسبي اننى اجتهدت وأنفقت الوقت الكثير لإعداد الدراسة .

وفى النهاية لا يسعني إلا أن أتقدم بوافر الشكر والعرفان بالجميل لاساتذتى الأجلاء، الأستاذ الدكتور حسين سيد مراد ، والأستاذ الدكتور كرم الصاوي باز، حيث شملوني برعايتهم العلمية فقد كانوا نعم الأساتذة المساعدين لي في توجيه النصح والإرشادات الهامة للبحث ، وامدادى بالكتب لإتمام البحث ، بالإضافة إلى الملاحظات والتعليقات الهامة لانجاز البحث .

وفى الخاتمة أرسل لهم جزيل الشكر على الجهد الذي بذلاه معي لإتمام الدراسة.

كما أقدم شكري وامتناني لاسرتى أمي وأبى وأخوتي على معاونتهم لي جزاهم الله خيـــر الجزاء.

كما أتقدم بشكري لأمناء مكتبات المركزية بجامعة القـــاهرة ، مكتبـــة معهـــد البحـــوث والدراسات الإفريقية بجامعة القاهرة ،مكتبة دير الدومنيكان ، ودار الكتب والوثائق المصرية ، ومكتبة الإسكندرية .

obeikandl.com

التمهيد

١- أحوال أسواق مدينة فاس في فترة الانتقال من الموحدين إلى المرينيين

٢- قيام دولة بني مرين

٣- تأسيس فاس الجديد

opeikandl.com

شهدت مدينة فاس أواخر عهد الدولة الموحدية خاصة بعد وفاة الخليفة الناصر عام ٦١٠هـ/ ١٢١٣م انتكاسات سياسية واقتصادية واجتماعية وطبيعية ، أثرت عليها وجعلتها فريسة سهلة بأيدي القبائل المرينيية فاضطربت الأحوال وسادت الفوضى بمدينة فاس ، وبفضل الصراع الذي نشب بين الموحدين والمرينيين فقد عانت الأسواق وكافة القطاعات الاقتصادية في المدينة من تبعات هذا الصراع والذي انتهى باستيلاء المرينيين بقيادة أبى يحيى ابن عبد الحق على المدينة عام ٦٤٦هـ/١٢٤٨م بعد حصار طويل استمر لمدة سنة .

كما شهدت أسواق مدينة فاس تغيرات عديدة في فترة الانتقال من الموحدين إلى المرينيين، وقد تأثرت هذه الأسواق في هذه الفترة بالفتن السياسية بالإضافة إلى الأمراض والأوبئة والمجاعات التي مرت بها مدينة فاس بداية عهد المستنصر الموحدى (٦١٠-٦٢٠هـ/ ١٢١٣-١٢٢٣م)إلى نهاية الحكم الموحدى لمدينة فاس وذلك بدخول المرينيين المدينة عام ٦٤٦هـ/١٢٤٨م . وقد صادف دخول المرينيين وقوع حريق امتد إلى قيسارية هذه المدينة وقد قضى هذا الحريق على الكثير من أسواقها وما تضمنه من حوانيت .

١- أحوال أسواق مدينة فاس في فترة الانتقال من الموحدين إلى المرينيين

للمتتبع لتاريخ الدولة الموحدية يمكن تقسيم عهد هذه الدولة إلى فترتين الأولى تمتد من قيام الدولة عام ٥٤١هـ/١١٤٦م حتى وفاة الناصر الموحدى عام ٦١٠هـ/١٢١٣م ،وقد تميزت هذه الفترة بقوة الدولة وتطورها في كافة المجالات وازدهارها الاقتصادي والاجتماعي والثقافي وتوسعها في الأندلس . أما الفترة الثانية والتي تمتد من ٦١٠هـ/١٢١٣م إلى نهاية الدولة الموحدية ٦٦٨هـ/١٢٦٩م فقد تميزت باضطراب أحوال الدولة بسبب سوء الأوضاع السياسية وانتشار الفتن والاضطرابات والأوبئة والمجاعات وانحسار النفوذ الموحدى من الأندلس.

عرفت الدولة الموحدية بداية من الفترة الثانية من عمر هذه الدولة أى عام ٦١٠هـ/١٢١٣م العديد من الأزمات والشدائد الطبيعية والسياسية التي أصابت البلاد بهزة عنيفة في المجالات الاقتصادية والاجتماعية ، بالإضافة إلى ضعف السلطة المركزية مما أدى إلى الفوضى التي أثرت في النشاط الفلاحى وعجز الفلاحين عن القدرة على دفع الضرائب، وامتد تأثير الفوضي إلي الكثير من المؤسسات الصناعية والعمرانية التي أصاب الكثير منها الخراب .

ويرجع ضعف الدولة الموحدية في بداية الفترة الثانية من عمر هذه الدولة إلى ضعف الخلفاء الموحدين الأواخر ، ويرجع هذا إلى أن عددا منهم وصل إلى الحكم صغير أو في سن الشيخوخة.[1] مما أتاح الفرصة لقيام الثورات التي كان لها دور كبير في انهيار هذه الدولة وقيام دولة بني مرين ، حيث كثرت الثورات والفتن والبغي وقطاع الطرق واضطربت الأحول السياسية وصاحب ذلك غلاء شديد وعم الخراب البلاد[2] وزادت الفوضى وظهرت الرشاوى وعجزت الدولة عن دفع مرتبات الجند ، واختل الأمن بفاس وخربت البساتين واستمر ذلك عشرين عاما منذ هزيمة العقاب ٦١٠هـ/١٢١٣م .[3] فمع ولاية يوسف بن محمد الناصر[4] الملقب بالمستنصر (٦١٠-٦٢٠هـ/ ١٢١٣-١٢٢٣م) ولسوء حظ الامبرطورية الموحدية انه لم يكن زعيما قويا وكان ميلا إلى اللهو وبعيدا عن أمور الإدارة خاصة انه تولى الحكم صغيرا وعمره ستة عشر عاما لا حكمة له ولا تجربة ولا معرفة بالأمور مما سمح بتدخل أشياخ الموحدين في شئون الدولة فترك الأمور لرجال الدولة، وقام هؤلاء الأشياخ باستعادة سلطاتهم واستبدوا بالولايات.[5]

---

[1] حسين مراد : فلاحو فاس في عصر الموحدين ، مركز البحوث والدراسات التاريخية ،كلية الآداب، جامعة القاهرة ، ص ٧٨ .

[2] ابن أبي زرع : الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية ، دار المنصور للطباعة ،الرباط١٩٧٢، ص ٣٦ المراكشي: الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ،تحقيق محمد بن شريفة ، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية ١٩٨٤، السفر٨ ، جـ١، ص ١٧٦ ، السلاوى : الاستقصا في أخبار المغرب الأقصى، تحقيق محمد الناصري الدار البيضاء ١٩٥٤،جـ٢،ص ٢٠٨، حسين مراد : فلاحو فاس في عصر الموحدين،ص٧٨.

[3] ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، دار المنصور للطباعة الرباط ، سنة ١٩٧٢، ص ٢٣٩، الجزنائى :جني زهرة الأسى في بناء مدينة فاس ، تحقيق عبد الوهاب منصور، الرباط ، الطبعة الثانية ١٤١١هـ ١٩٩١ م ، ص٤٥،المراكشي: مصدر سابق ، ص ١٧٩.

[4] يوسف بن محمد الناصر : هو يوسف بن محمد الناصر الملقب بالمستنصر بالله ، تولى الحكم في ذى الحجة سنة ستمائة وعشر ، وكان فى السادسة عشر من عمره ، وكان حسن الوجة مشغوفا براحته ، وكان حكمه أول فترات الضعف التى أصابت الدولة الموحدية . للمزيد الاستقصا ، جـ٢ ، ص٢٠٢، ٢٠٤.

[5] المراكشي : وثائق المرابطين والموحدين ، تحقيق حسين مؤنس ، مكتبة الثقافة الدينية ، ١٩٩٧م ، ص ١٦٣ ابن عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق ، ج.ى كولان وليفي بروفنسال ، الدار العربية للكتاب ، بيروت ١٩٨٣جـ٤ ، ص ٢٤٣، روجيه لوطورنو: حركة الموحدين في المغرب في القرنيين الثاني عشر والثالث عشر ، ترجمة أمين الطيبى ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا – تونس ١٩٨٢ ، ص١٠٢.

كما استبداد الوزراء بالأمور وكان ذلك من أهم الأسباب التي ساعدت على انحلال الدولة الموحدية.[1]

وقد صاحب الضعف السياسي عام ٦١٠هـ/١٢١٣م الوباء العظيم والذي حصد الكثير من الأرواح.[2]

وقد عانت البلاد أيضا في عهد هذا الخليفة من مجاعة جديدة امتدت منذ عام ٦١٤هـ/ ١٢١٧م إلى عام ٦١٧هـ/١٢٢٠م أدت إلى اشتداد الغلاء والقحط وارتفاع الأسعار التي ووصلت إلى مالا نهاية ، واستمر القحط وزادت حدته بسبب هجوم الجراد.[3]

واستمرت الأحوال الاقتصادية السيئة في عهد الخليفة المستنصر ففي عام ٦١٩هـ/١٢٢٢م أصابت البلاد مجاعة جديدة عدمت فيها الأقوات.[4] وصاحب المجاعة الجراد المنتشر مما أدى إلى حدوث انهيار في أسواق فاس.[5] وبعد وفاة المستنصر تولى الأمر في الدولة الموحدية عبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن عام ٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م ، وهو في سن الشيخوخة فشاخت الدولة بشيخوخته [6] تولى الخلافة بعد أربع سنوات الخليفة إدريس بن يعقوب المنصور[7] الملقب بالمأمون (٦٢٤-٦٣٠هـ/ ١٢٢٧-١٢٣٢م) واشتد الغلاء وغلت الأسعار لكثرة الفتن وبيع قفيز القمح بخمسة عشر دينار .[8]

---

[1] ابن أبي زرع : الأنيس ، ص ١٥٨ .

[2] ابن عذارى: مصدر سابق جـ٢، ص ٢٦٦.

[3] ابن عذارى:نفس المصدر والجزء والصفحة ،ابن أبي زرع: الأنيس ، ص٢٧٢،السلاوى : الاستقصاجـ٢،ص ٢٦٢. محمد المغراوى : الموحدون وأزمات المجتمع ، جذور للنشر ، الرباط طـ١ ، ٢٠٠٦ ، ص ١٦٩ .

[4] ابن أبي زرع: الأنيس ، ص٤٩ .

[5] السلاوى: الاستقصا جـ٢، ص٢٦٤ .

[6] السلاوى: المصدر السابق والجزء والصفحة .

[7] إدريس بن يعقوب: هو أبو العلاء إدريس بن يعقوب المنصور الملقب بالمأمون ، وكان يتسم بالشهامة والصرامة وأخلاق الحجاج بن يوسف وكان عمره ست عشرة سنة ، وبويع لجامع المنصور من قصبة مراكش عام ٦٢٤هـ/١٢٢٧م . للمزيد الاستقصا ، جـ ٢ ، ص٢٠٨.

قفيز: وحدة للمقاييس والموازين ففي المقاييس تساوى من الأرض قدر مائة وأربع وأربعين ذراعا ، أما الموازين تساوي ثمانية أرطال . للمزيد انظر محمد عمارة: قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية، ، دار الشروق، الطبعة الأولي ١٩٩٣- ١٤١٣هـ

[8] ابن أبي زرع: الأنيس ص ٢٧٤.

وفى عام ٦٢٦هـ /١٢٢٩م أصاب مدينة فاس سيل عظيم فهدم مسافتين من سورها القبلي والعديد من فنادق عدوة الأندلس. [١] وكان لهدم هذه الفنادق اكبر الأثر في تدهور أسواق مدينة فاس .

وفى ظل هذا التدهور لأسواق مدينة فاس رفض معظم الأشياخ ولاية المأمون حيث رأوا في قوة شخصيته عدم قدرتهم على تحقيق طموحاتهم ، فبايعوا يحيى بن الناصر وكان صغيرا ليس له خبرة فأدى ذلك إلى انتشار النزاعات والفتن ، وقلت المجابى واستبد الولاة بولاياتهم فكان لاضطراب الأمن وسيادة الفوضى اكبر الأثر في انهيار معظم كل القطاعات الاقتصادية وساعد على هذا الانهيار انتشار الأوبئة والأمراض والمجاعات وارتفاع الأسعار وكثرت السرقة للحوانيت والأسواق بمدينة فاس . [٢]

وخلال هذه الفترة بدأت قبائل بنو مرين في الظهور بسهول وسواحل المغرب الأقصى ودار بينهم وبين الموحدين صراعات عديدة استمرت ثمانية وخمسين عاما. [٣] وكان لهذا الصراع تأثير كبير على القطاعات الاقتصادية في مدينة فاس .

ومع بداية حكم الخليفة الموحدى الرشيد[٤] (٦٣٠- ٦٤٠هـ/ ١٢٣٣-١٢٤٣م) أصاب الجوع والوباء مدينة فاس وبيع وسق القمح بثلاثين دينارا . [٥] وأثناء ذلك ظهر عرب الخلط وأعلنوا رفض طاعتهم للموحدين ، وبجانب ذلك انهارت الأوضاع بمدينة فاس و التي ارتفعت بها الأسعار ، فأكد الطلب على الجابى من البلاد الناظر في أمور الجباية في المدينة فجلبوا له من قبائل غمارة وفازاز جباية عظيمة . [٦]

---

[١] ابن أبى زرع : الانيس ، ص٢٧٤ . السلاوى : الاستقصاجـ٢، ص٢٦٤.

[٢] ابن عذارى: مصدر سابق، جـ٣، ص ٣٢٩ .

[٣] المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق محمد سعيد العريان ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ١٩٦٣، ص٤٠٣.

[٤] الرشيد :هو أبى محمد عبد الواحد الرشيد بن المأمون ابن المنصور ، ولقب بالرشيد بويع بالخلافة بوادي العبيد يوم الأحد فاتح محرم سنة ثلاثين وستمائة ،وكان عمره اربع عشرة سنة للمزيد الاستقصا ، جـ٢، ص ٢١٦.

[٥] ابن عذارى: مصدر سابق، جـ٣، ص ٢٣٥ ،٢٣٦، ابن أبى زرع: الأنيس ، ص ٢٧٧ ، السلاوى : الاستقصا جـ٢، ص ٢٦٤.

[٦] السلاوى: الاستقصا، جـ١، ص ٢٠٢ ،٢٠٣ .

واشتد الغلاء والوباء في عام ٦٣٥هـ/١٢٣٨م فأكل الناس بعضهم البعض، وكان يدفن في الحفرة الواحدة المائة من الناس.[١] وقد أدى هذا الوباء إلى نقض الأيدي العاملة في الزراعة مما ساعد على انهيار الحالة الاقتصادية والأسواق بمدينة فاس . وقد بيع الربع من الدقيق بسبعة وثلاثين درهما .[٢]

وكان للحريق الذي وقع بمدينة فاس عام ٦٤٦هـ/١٢٤٨م ، والذي قضى على العديد من أسواقها اثر كبير في ارتفاع الأسعار حيث احترقت أسواق باب السلسلة بأسرها إلى حمام الرحبة[٣]

لقد حصدت الأزمات التي مرت بها مدينة فاس خلال مرحلة الانتقال المئات من الضحايا ، وكان تقصير الولاة وإهمالهم سببا مباشر في قلة الأقوات وارتفاع الأسعار.[٤] فأثرت هذه المجاعات سلبا على التطور الديمغرافي والإمكانيات المادية للناس بسبب الغلاء الفاحش الذي كان يرافق هذه المجاعات [٥] مما اضطر الناس لبيع ممتلكاتهم بأثمان زهيدة للحصول على الطعام.[٦]

وكان القشاشين [٧] هم نقطة الضعف في النظام الاقتصادي الموحدى حيث أنهم قاموا بتكوين أتباع وعملاء وتواطؤ مع العمال والوزراء والأشياخ وأصحاب الأموال فازداد ضغطهم على الفلاحين وصغار التجار ليحصلون منهم على السلع بثمن بخس ويبيعونها بثلاث أضعافها.[٨]

---

[١] ابن أبي زرع: الأنيس ،ص٢٧٦-٢٧٧ .

[٢] ابن عذارى: مصدر سابق، ص٣٣٩.

[٣] السلاوى: الاستقصاج٢، ص ٢٦٤، محمد المغراوى: مرجع سابق ، ص ١٧٢.

[٤] حسن على حسن : الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين ، مكتبة الخانجي ، مصر ، ط١ ، ١٩٨٠، ص٢٥٧ .

[٥] محمد المغراوى: مرجع سابق ، ص١٧٥.

[٦] ابن الزيات: التشوف إلى رجال التصوف، تحقيق أحمد توفيق، الرباط ١٩٨٤ ص١٣٥.

[٧] القشاشون : سماسرة استثمروا أموالهم في الزراعة ، حيث كانوا يشترون الغلال في البساتين من زيتون وعنب ورمان وخضراوات وغيرها بأسعار رخيصة ثم يبيعونها بأثمان مرتفعة . للمزيد انظر ماجدة كريمي : مرجع سابق ، ص ١٣٠.

[٨] ابن غازي: الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون ، الرباط ، المطبعة الملكية١٩٦٤ ، ص ٢٤، محمد حجاج الطويل : التجارة الداخلية وأثرها على ضعف الدولة الموحدية ، أعمال ندوة التجارة في علاقتها بالمجتمع و الدولة عبر تاريخ المغرب ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، عين الشق ، الدار البيضاء ، جامعة الحسن الثاني ، القسم الثاني ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م ، ص ١٤٧،١٤٦ .

وانتشرت النقود المزيفة وحالات الغش والتزوير.[1] وقد عمل القشاشون على نشر الاحتكار لبعض المواد الإستراتيجية كالحبوب وزيت الزيتون وانتشر الربا والتهرب من الضرائب، وزادت السرقات لمنع التجار من تزويد الأسواق بالسلع حتى يظل نظام الاحتكار قائما بالأسواق .[2]

كل ذلك أدى إلى انهيار أسواق مدينة فاس خلال الفترات الأخيرة من عمر الدولة الموحدية ومع تولى السعيد أبى الحسن المعتضد[3] (٦٤٠-٦٤٦هـ/١٢٤٢-١٢٤٨م) بدأ نفوذ القبائل المرينية بالمغرب الأقصى بولاية الأمير أبى يحيى بن عبد الحق عام ٦٤٢هـ/ ١٢٤٤م ، وعظم شان بني مرين بالمغرب .[4] وبوفاة السعيد قام أبو يحيى بالاستيلاء على رباط تازا مما سهل عليه الاستيلاء على مدينة فاس عام ٦٤٦هـ/١٢٤٨م .[5]

كان للحصار الذي فرضه المرينيون على مدينة فاس والذي استمر لمدة عام بالإضافة إلى هجمات الجيش المرينى على المدينة اثر كبير في تدهور الأسواق بسبب هذين الأمرين.[6] وبدخول المرينيين إلى مدينة فاس عام ٦٤٦هـ/١٢٤٨م وقع حريق بقيسارية هذه المدينة حيث احترقت أسواق فاس من قنطرة الصبانين بقرب باب السلسلة ، فأحرق سوق السقاطين والغمادين والسبطريين والطوابنيين ووصل الحريق إلى باب الجنائز من جامع القرويين .[7]

لقد أثرت الأوبئة والمجاعات التي حاصرت مدينة فاس أواخر الدولة الموحدية سلبيا عليها حيث أدت إلى نقص الايدى العاملة ، ونقص السلع الغذائية بالأسواق مما أدى إلى انهيار

---

[1] ابن الزيات: التشوف، ص ١٠٢ ، محمد حجاج : مرجع سابق ، ص ١٤٩.

[2] المراكشي : الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ، السفر الأول القسم الأول، ص ١٧٦، محمد حجاج مرجع سابق، ص ١٥٠.

[3] السعيد أبى الحسن المعتضد: هو أبى الحسن السعيد على بن المأمون بن المنصور ، تلقب بالمعتضد بالله، واشتد الضرر على أيامه بالدولة الموحدية ، بسبب الأضرار التي سببتها القبائل المرينية بالمغرب . للمزيد السلاوى : الاستقصا ،جـ٢،ص ٢٢١.

[4] ابن عذارى : مصدر سابق جـ٣، ص ٣٦٦،ابن أبى زرع: الأنيس ص٢٩٦، القلقشندى: صبح الأعشى في صناعة الانشا ، قصور الثقافة ، القاهرة ، ٢٠٠٥ م جـ٥، ص١٩٥ .

[5] ابن عذارى: مصدر سابق جـ٣، ص٣٩١، ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر، مؤسسة جمال للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٧٩م جـ٧، ص١٧٣. روجيه لوطورنو: حركة الموحدين، ص ١٠٥ .

[6] حسين مراد: مرجع سابق، ص ٧٩ .

[7] ابن أبى زرع: الذخيرة ، ص ٧٣ ، السلاوى: الاستقصاجـ٢، ص ٢٤٦ ، محمد المنونى : ورقات في التاريخ، ص١٠٣.

هذه الأسواق . هكذا انتقلت تبعية مدينة فاس من الموحدين إلى المرينيين ومع هـذا الانتقـال كانت أسواق مدينة فاس قد تعرضت لضربات موجعة بفضل الفتن والاضطرابات السياسية التي صاحبها أوبئة ومجاعات أدت إلى تدهور أسواق هذه المدينة وارتفاع أسعار السلع ، فكان على المرينيين عبء إعادة الأمن والاستقرار إلى هذه الأسواق .

٢- قيام دولة بني مرين [١]

اختلفت الآراء حول أصل بني مرين ، فمنهم من ذكر إن بني مرين فخـد مـن قبيلـة زناتة[٢] من البربر البتر [٣] احد فرعي البربر [٤] ومن قبيلة زناتة قبائل كثيرة مغراوة وبنـو يفرن وبنو واسين[٥] ومرين وبني عبد الواد وبنو توجين وغيرهم .[٦] وينتمي بنو مرين إلـى الأمير مرين بن ورتاجين [٧]بن الأمير مأخوخ الذي كان يرأس زناتة بعد جده مـاخوخ مـن

---

[١] مرين : سموا بهذا الاسم نسبة إلى اسم جدهم مرين ،وهم أعلا قبائل زناته حسبا وأشرفها نسبا وأكثرها دينا وأحسنها ظنا وأصلحها يقينا ، ويميلون للقفاز والصحارى والصيد للمزيد انظر ابن أبى زرع : الذخيرة ص ١٥ الأنيس: ص ٢٧٨ ، احمد شلبي : موسوعة التاريخ الاسلامى والحضارة الإسلامية ، جـ٤،طـ٥ ، النهضة المصرية، ١٩٧٩ ، ص ١٥٣ ، عثمان عثمان إسماعيل : ص ٦٢ .

[٢] الملزورى: نظم السلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك ، الرباط ، المطبعة الملكية ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م ، ص ٦٣ ابن أبى زرع : الأنيس ، ص ٢٧٨ ، ابن الأحمر : نثير الجمان في نظم فحول الزمان ، دراسة في حياته وأدبه ، تحقيق محمد رضوان الداية ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٧ ، ص ٢٨ ، بيوتات فاس الكبرى ، دار المنصور للطباعة والوراقة ، الرباط ١٩٧٢م ، ص ٥٤ .

[٣] البتر: سموا بالبتر لأنهم من سكان السهول الذين يلبسون البرانس من غير غطاء للرأس للتكيف مع طبيعة البيئة التي يعيشون بها. ابن خلدون: مصدر سابق، جـ ٦، ص ٢١٦ ، عبـد الحـق : مظـاهر الحـضارة البربرية ، مجلة دعوة الحق ، العدد٨ ، السنة ٨ ، الرباط ١٩٦٥ ، ص ٧٦ .

[٤] الاصطخرى: المسالك والممالك ، تحقيق محمد جابر عبد العال الحسيني ، مراجعة محمد شفيق غربـال ، دار العلم ، القاهرة ١٩٦١، ص ٣٦ .

[٥] بنو واسين : من القبائل الشهيرة وقد ملكوا مابين ملوية وأرض الزاب وامتنعت عليهم المغربان ممن ملكها من زناته ، ابن خلدون : مصدر سابق جـ ٧ ، ص ٦١ .

[٦] ابن أبى زرع : الذخيرة ، ص ١٥ ، ابن الأحمر : روضة النسرين في دولة بني مرين ، المطبعة الملكية، الرباط ١٩٦٢ ، ص ١٠ .

[٧] بني ورتاجين : يسكنون بلد الحامة غربي قابس وكانوا امة عظيمة لها أسواق وتجارة، للمزيد انظر : ابن خلدون : مصدر سابق جـ ٧ ص ٥٩ .

زاب إفريقية[1] ومن بني مرين بيت بني عبد الحق ملوك الغرب الأقصى المستقرين في مدينة فاس.[2]

وكانت القبائل المرينية تسكن الصحراء ويرحلون ما بين وادي ملوية وسجلماسة.[3] وقد كانوا في بداية ظهورهم لا يعرفون فضة أو سكة أو فلاحة أو تجارة إذ كانت الإبل والعبيد كل ثروتهم.[4]

اندفعت القبائل المرينية التي كانت تعيش على الانتجاع بالهضاب الشرقية من المغرب الأقصى باتجاه الغرب .[5] فكان لديهم الرغبة في الانتشار طوال تاريخهم.[6] وسنحت لهم الفرصة نتيجة الخلاف الذي وقع بينهم وبين بني عبد الواد وبني واسين بسبب امرأة وذلك في

---

(1) ابن خلدون : المصدر السابق ، جـ٧ ، ص٥٨٠ ، عبد العزيز محمود لعرج: مدينة المنصورة المرينية بتلمسان ، دراسة تاريخه في عمرانها وفنونها ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، ص ١٠ .محمد شقرون : مظاهر الثقافة المغربية ، ص ٢٠ .

بلاد الزاب : هي منطقة واسعة كانت تشغل المساحة الواقعة في جنوب جبال أوراس وتشمل بسكرة وما حولها ، واقعة في المغرب الأدنى .

(2) القلقشندى: قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان ، حققه إبراهيم الابيارى ، دار الكتاب المصري القاهرة ، ط٢ ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢ ، ص ١٧٧ .

(3) اختلف المؤرخون حول موقع بني مرين في بلاد المغرب فالبعض يقول (أنهم يسكنون بلاد القبلة من زاب افريقية إلى سجلماسة) ابن أبى زرع : الأنيس ص ٢٨١ . ويرى ابن مرزوق أنهم تملكوا من حد بلاد الجريد إلى ناحية المغرب .المسند الصحيح : ص ١١٠ . ويذكر ابن الأحمر أنهم كنوا يسكنون في أحياء مغيلة أفريقيا بإزاء جبل أيلجان . النفحة النسرينية واللمحة المرينية، حققه عدنان محمد آل طعمه دار سعد الدين ، دمشق ١٩٩٢، ص ٣١ .

الكتاني : تحفة الأكياس ومفاكهة الجلاس فيما غفل عنه صاحب زهرة الأس في بيوتات فاس ، تحقيق على بن المنتصر الكتاني ، مطبعة النجاح ، الدار البيضاء جـ ٢ ، ص ١٧٣ ، أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسنية المصرية ، الطبعة الأولى جـ٤ ، ص ٨ ، الفريد بل : الفرق الإسلامية في الشمال الافريقى من الفتح العربي إلى اليوم ، ترجمة عبد الرحمن بدوى ، دار لبيا للنشر ١٩٦٩ ، ص ٣٠٨.

(4) تاريخ إفريقيا العام: إفريقيا من القرن الثاني عشر إلى القرن السادس عشر، اليونسكو، المجلد الرابع، ط٢ ١٩٨٨ ، ص ١٠٢ .

(5) مصطفى نشاط : جوانب من المسكوت عنه في الكتابة التاريخية المرينية ، نموذج الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية ، دراسات في تاريخ المغرب ، العدد السابع ١٩٩٠ ، حوليات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، عين الشق ، الدار البيضاء ، ص ١٨٤ .

(6) جورج مارسيه : بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الاسلامى في العصور الوسطى ، ترجمة محمود عبد الصمد هيكل ، راجعه مصطفى ابو ضيف احمد ، منشأة المعارف الإسكندرية ١٩٩٩ ، ص ٣١٩.

عام ٦٠١هـ /١٢٠٤م [١] فانتقلوا من تاهرت* وتلمسان إلى الجنوب الشرقي في المغرب الأقصى، وسكنوا منطقة الزاب بجبل يقال له ايكيجان* . [٢]

بدأت الأحداث بالمغرب تخدم المرينيين على حساب الموحدين حيث بدأت دولة الموحدين في الانهيار بعد هزمتها في موقعة العقاب عام (٦١٠هـ/١٢١٣م) [٣]

إذ بدء الوهن والضعف يدب في جسم الدولة ، وبدأ بنو مرين يشنون غاراتهم وهجماتهم على المغرب. [٤]

فيذكر المقري عن ذلك "فقد كانت العقاب سبب ضعف المغرب والأندلس أما المغرب فبخلاء كثير من قراه وأقطاره ، أما الأندلس فبطلب العدو لها " [٥]

وقد كان للإتاوات والضرائب التي فرضها الموحدين على المرينيين اثر كبير لقيام المرينيين بمحاولات للاستقلال عن الموحدين ، وتحالفهم مع بعض القبائل ضد الموحدين لضربهم [٦] مما أدى إلى نشوب صراع مرير مع الموحدين استمر ثمانية وخمسين عاما [٧]

---

[١] ابن أبي زرع : الخيرة ، ص ٢٦ .

*تاهرت : مدينة من مدن المغرب الأوسط ، وكانت مدينتين مدينة قديمة ومدينة جديدة .للمزيد انظر الحميري: الروض المعطار في خبر الأمصار، تحقيق إحسان عباس بيروت ١٩٧٥، ص ١٢٦

[٢] ابن أبي زرع : الأنيس ، ص١٨٢ .

*جبل ايكيجان : يقع بين سطيف وقسطنطينة ، وفيه حصن ومعقل ومنازل بني حماد وقبائل كتامة . للمزيد انظر الحميري : مصدر سابق ، ص ٧١.

[٣] موقعة العقاب : قام الخليفة عبد الله الناصر بتجهيز جيش في ٢٥ ذي القعدة عام ٦٠٧ هـ / أوائل مايو ١٢١٢ م، وجاز به الأندلس ونزل في جزيرة طريف ثم صار بعد ذلك إلى اشبيلية وكانت معركة العقاب بينه وبين جيوش الفونس الثامن ، والتي انتهت بهزيمة الجيوش الموحدية . للمزيد انظر ابن غازي: الروض الهتون ، ص ٣٢ ، احمد مختار العبادى : دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ، الإسكندرية ١٩٦٨م ، ص ١٧٦، حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب والأندلس ، دار الرشاد ، ط٧ ،١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥ م ، ص ٢٢٣، على الصلابى : إعلام أهل العلم والدين بأحوال الموحدين ، ط١ ، مكتبة الأيمان ، المنصورة ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م ، ص ١٩٨

[٤] إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ ، دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء ، ٢٠٠٠ ، جـ ٢ ، ص١٠، على الصلابى : مرجع سابق ، ص ١٨٩

[٥] المقري: نفح الطيب، جـ١، ص٤٢٠

[٦] إبراهيم حركات : المغرب، جـ٢، ص ١١

[٧] عبد الوهاب بن منصور : قبائل المغرب ، المطبعة الملكية ، الرباط ١٩٦٨ ، جـ١، ص ٢٦٩ ، محمد عيسى الحريري : تاريخ المغرب والأندلس في العصر المرينى ، دار القلم ، الكويت ١٩٨٥ ، ص١٠ .

فقامت القبائل المرينية بالإغارة على المدن والقرى وأشاعوا بها الفوضى وسلبوا الناس أموالهم [1] فقرر الخليفة الموحدى المستنصر القضاء على القبائل المرينية . [2]

وصلت الأخبار إلى بني مرين بتقدم جيش الموحدين نحوهم ، فالتقى الجمعان بوادي نكور[3] عام ٦١٣هـ/١٢١٦م فانجلت الحرب عن رجوع جيش الموحدين إلى تازى ومزق الجيش الموحدى وانهزم هزيمة شنيعة واستولى بنو مرين على ما كان بأيديهم من أموال وبالغ المرينيون في تجريدهم من ملابسهم وفر أعداد منهم إلى فاس فقاموا بالتستر بأوراق النبات المعروف بالمغرب بالمشعلة فسميت الموقعة بعام المشعلة [4]

تعرض المرينيون إلى انقسام داخلي أدى إلى تحرك عوامل في نفوس بني عسكر بن محمد المرينى عام ٦١٤هـ/١٢١٧م ، فقام الموحدون بتشجيع القبائل من بني رياح وبني عسكر بالتحالف لمحاربة بني مرين ، والتقى الجمعان بواجرهان بالقرب من وادي سبو واستطاعت القبائل المتحالفة من الانتصار في بداية الأمر، وقتل الأمير المرينى عبد الحق (٥٩٢-٦١٤هـ/١١٩٥- ١٢١٧م) وولده إدريس ودفنا في تافرطاست* [5] فقام بنو مرين بالمقاومة حتى استولوا على أموال وخيول ودواب القبائل المتحالفة وتولى أبو سعيد عثمان بن

---

[1] ابن أبى زرع: الذخيرة ، ص٢٧ ، السلاوى : الاستقصا جـ ٣، ص٥.

[2] محمد عيسى الحريري : مرجع سابق، ص ١١ .

[3] وادي نكور: يقع بين رباط تازة ولمرقدة وتقع عليه مدينة نكور العامرة بالأسواق . للمزيد انظر الحميري: مصدر سابق ، ص ٥٧٦ .

[4] ابن عذارى: البيان المغرب جـ ٣ ، ص ٢٦٦ ، ابن أبى زرع : الذخيرة ، ص٢٨ ، ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تحقيق ماريا خيوس بيغيرا ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر ١٤٠١ هـ / ١٩٨١م ، ص ١١١ ، ابن الأحمر النفحة النسرنية ، ص ٣٣ ، محمد عيسى الحريري: مرجع سابق ، ص١١ ، ١٢

Bel: A La Religion Muslmane En Berberie, Paris, 1938, P.288.

[5] ابن أبى زرع: الذخيرة ، ص٣٣ ، السلاوى: الاستقصا جـ٣ ،ص ٧ ، الكتاني: مصدر سابق ، ص ١٧٣، ابن مرزوق : مصدر سابق ، ص ١١١ ، الملزورى: مصدر سابق ، ص ٧٠ ، عيسى الحريري: مرجع سابق ، ص ١٢ .

* تافرطاست : لم اعثر على تعريف لها بالمصادر .

عبد الحق[1] أمر بني مرين بعد أن انتهت الحرب لصالح المرينيين وفرض عليهم إتاوة تدفع كل عام.[2]

وبوصول الأمير أبى سعيد عثمان (٦١٤-٦٣٧هـ/١٢١٧-١٢٣٩م) رئاسة قبائل بني مرين أصبحت نقطة انطلاق الدولة المرينية ، حيث قام بجمع أشياخ بني مرين ووضع الخطوات الأساسية لقيام دولتهم .[3] فقام الأمير أبو سعيد بتحرك بجيوشه لإخضاع القبائل العربية والبربرية، وفتح بلاد بني كانون وجبل زرهون وكثير من بلاد غماره .[4]

خضعت جميع القبائل المغربية بحلول عام ٦٢٥ هـ/١٢٢٨م لبنى مرين حيث ملكوا جميع بوادي المغرب من وادي ملوية إلى رباط الفتح فأصبحت بنو مرين قوة لها كيانها بالمغرب .[5] لم تدوم الأمور في مجراها الطبيعي ولكن سرعان ما تغير ذلك حيث قتل الأمير أبى سعيد على يد علج من أعلاجه بتحريض من بني واندين[6] عام ٦٣٧هـ / ١٢٣٩م .[7]

---

[1] أبو سعيد المريني: هو أبو سعيد عثمان بن عبد الحق بن محيو بن أبى بكر بن حمامة الزناتى المريني ثاني ملوك بني مرين قتل بوادي ردات ، للمزيد انظر ابن أبى زرع : الذخيرة ، ص٣٨،٣٧.

[2] ابن أبى زرع : الذخيرة ، ص ٣٤ ، ٣٥ السلاوى: الاستقصا جـ٣ ،ص٧٥ ، مجهول الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، حققه سهيل زمامه ، وعبد القادر زمامه ، دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء ، المغرب ١٩٧٩ ، ص ١٧٢ ، الملزورى: مصدر سابق ، ٧٠.

[3] ابن أبى زرع : الذخيرة ص ٣٦ ، سامية مسعد : الحرب والطبيعة فى المغرب الأقصى عصر بني مرين، دار عين للدراسات الإسلامية والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، ٢٠٠٣،ص١٤ .

[4] ابن أبى زرع : الأنيس ، ص ٢٨٨ ، السلاوى: الاستقصا جـ٣ ، ص ٩.

[5] ابن أبى زرع : الذخيرة ص ٣٦،٣٧، سامية مسعد : الحرب والطبيعة ص١٥.

[6] محمد بن واندين : من كبار الموحدين وكان له دور ها في اعتلاء السعيد الموحدىُ العرش ، وازداد نفوذه في عهد السعيد إلى اعتقله ، للمزيد انظر ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٣ ، ص ٣٧٠ .

[7] ابن أبى زرع : الذخيرة ص ٣٦،٣٧، سامية مسعد : الحرب والطبيعة ص١٥.

تولى من بعده أبو معرف محمد بن عبد الحق[1] (٦٣٧-٦٤٢هـ / ١٢٣٩-١٢٤٤م) رئاسة بني مرين فقام بجمع الضريبة والمغارم من القبائل [2] استطاع هزيمة الموحدين بقيادة بن واندين خارج مكناسة التي تقهروا إليها.[3]

ومن ثم قامت معركة أخرى بأحواز فاس عام ٦٤٢هـ/١٢٤٤م بين المرينيين وقتل الأمير أبو معرف على يد زعيم من زعماء الروم [4]

وقد تولى زمام الأمور من بعده الأمير أبو بكر بن عبد الحق (٦٤٢-٦٥٦هـ/ ١٢٤٤- ١٢٥٨م) [5] فملك الحصون وفتح مكناس في عام ٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م [6]ودخل الأمير أبو بكر بن عبد الحق مدينة فاس مع أواخر شهر ربيع الأول من عام (٦٤٦ هـ/١٢٤٨ م) ودخلها صلحا عن رضا أهلها فبايعوه بالرابطة عند باب الشريعة ، وكان أول من بايعه الشيخ الفقيه عبد الله القشتالى ثم الفقهاء والأشياخ ، وأخرجوا السيد أبا العباسي من القصبة بعياله وأولاده . وبدخول الأمير أبى بكر مدينة فاس استقامت له أمور المغرب وتمهد له الملك وقدمت عليه الوفود للبيعة ، وتهدنت البلاد وتأمنت الطرقات وكثرت الخيرات وتحركت التجارة. [7]

ثم خرج أبو بكر من مدينة فاس سنة ٦٤٧هـ/١٢٤٩م إلى معدن العوام [8]من بلاد فازار، واستخلف عليها مولاه السعود بن خرباش الحشمى ، فأجتمع نفر من أشياخ فاس إلى

---

[1] أبو معرف : هو الأمير أبو معرف محمد بن عبد الحق بن محيو بن أبى بكر بن حمامة بن محمد الزناتى المرينى، فكان حسن الإدارة ذو عقل ودهاء ، وفتح كثيرا من جبال المغرب وبواديه . للمزيد انظر ابن أبى زرع : الذخيرة ص ٥٩ ، الأنيس : ص٢٨٩، ٢٩٠.

[2] ابن أبى زرع : الأنيس ، ص ٢٨٩ ، السلاوى : الاستقصا جـ٣، ص ١٠ .

[3] السلاوى : الاستقصا جـ٣، ص ١٠ .

[4] ابن أبى زرع : الأنيس ، ص ٢٨٩ ،الذخيرة : ص٥٩ ، سامية مسعد : الحرب والطبيعة ،ص١٦.

[5] أبو بكر بن عبد الحق : أول ملك من بني مرين ملك البلاد ، وتوفى بقصره من قصبة مدينة فاس ملك الحصون والبلاد فكان سعد بني مرين . للمزيد انظر ،ابن أبى زرع : الأنيس ، ص٢٩١، ابن الأحمر: النفحة النسرينية ، ص ٣٥ .

[6] ابن الأحمر: النفحة النسرينية ، ص ١٥ .

[7] ابن أبى زرع: مصدر سابق ، ص ٢٩٣ ،٢٩٤، السلاوى: مصدر سابق ،جـ٣، ص١٤، ١٦.

[8] معدن العوام : تقع المدينة على بعد ثلاثة فراسخ من الأطلس الكبير على ضفة نهر أبى الرقراق من جهة الشمال ، أسسها عبد المؤمن الموحدى ، ودمرت على يد المرينيين وانتقل سكنها إلى سلا . للمزيد انظر ، مارمول : إفريقيا ترجمة محمد حجي وآخرون ، دار المعرفة الرباط ، ١٤٠٨-١٤٠٩هـ/١٩٨٨ ١٩٨٩،جـ ٢، ص ١٣٢.

قاضيها أبى عبد الرحمن المغيلى ، وتأمروا على خلع الأمير أبى بكر وقتل مولاه السعود، وأن يبعثوا ببيعتهم إلى المرتضى ، ولما وصل الخبر إلى الأمير أبى بكر شدد الحصار على مدينة فاس عام(٦٤٨ هـ /١٢٥٠ م) فبعث أهلها للأمير يطلبون منه الأمان والعفو مقابل مائة ألف دينار.[١]

وبوفاة الأمير أبى بكر بن عبد الحق كان بداية الانقسام المرينى والصراع على الحكم حيث بايع العامة من بني مرين ابنه عمر بن أبى يحيى بينما بايع المشيخة وأهل الحل والعقد أخاه أبى يحيى بتازى .[٢]

ونتيجة لهذه الأحداث ظلت مدينة فاس مضطربة وانتهى هذا الصراع بتنازل عمر عن إمارة بني مرين إلى عمه يعقوب بن عبد الحق عام (٦٥٧هـ/ ١٢٥٨م) .[٣]

وما إن وصل يعقوب إلى الحكم حتى قام بتوحيد المرينيين ، وقام بالوصول إلى سلا والاستيلاء عليها من الموحدين وفى هذه الأثناء قام الأسبان بمهاجمة المدينة عام ٦٥٨هـ/١٢٥٩م وقتلوا الرجال وسبوا النساء ونهبوا الأموال ، فقام يعقوب بن عبد الحق بمحاصرة المدينة وقتل ما كان بها من نصارى الأندلس .[٤]

قام الموحدون بإرسال وفد للصلح بينهم وبين بني مرين ، وقام الأمير المرينى بقبول الصلح بشرط أن يكون الحد الفاصل بين الطرفين هو وادي الربيع [٥] ولم يدوم الصلح بينهم طويلا حيث كان الهدف الاساسى لبنى مرين هو الاستيلاء على مراكش وإنهاء الدولة الموحدية [٦]

---

[١] ابن أبى زرع :مصدر سابق ، ص ٢٩٤ ابن الأحمر : روضة النسرين ، ص ١٧ ،ابن خلدون: مصدر سابق، ص ٢٣٠، ٢٣١.

[٢] ابن أبى زرع: الأنيس ص ٢٩٩ ، ابن القاضي : جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس ، دار المنصور للطباعة والوراقة ، الرباط ،١٩٧٣ ، جـ ١، ص ٢٨٤ .

[٣] ابن الأحمر: النفحة النسرينية، ص ٣٦ ، السلاوى : مصدر سابق ، جـ٣، ص ٢٠ .

[٤] ابن أبى زرع : الذخيرة، ص٩٣، ٩٤ ، الأنيس، ص٣٠١ ، السلاوى: نفس المصدر والجزء، ص٢٢:٢٠، سامية مسعد: الحرب والطبيعة ، ص١٨ .

[٥] ابن أبى زرع : الذخيرة ، ص٩٤.

[٦] ابن أبى زرع : الأنيس ، ص٣٠٩ ، الملزورى : مصدر سابق ، ص ٨١

وأتيحت لهم الفرصة عام (٦٦٠هـ/ ١٢٦١م) حيث توجه الأمير يعقوب بن عبد الحق إلى مراكش فقامت قوات الخليفة المرتضى الموحدى بالتصدي لهم بقيادة أبى دبوس (٦٦٥-٦٦٧ هـ/ ١٢٦٦-١٢٦٨م)[١] وانسحبت القوات المرينية على اثر مقتل عبد الله بن يعقوب فأدرك الخليفة المرتضى الموحدى خطورة الموقف ، فأرسل للأمير يعقوب لدفع ضريبة لكن الأمير رفض وقام أبو دبوس بالهروب إلى الأمير المرينى لطلب المساعدة مقابل اقتسام نصف الأرض التي يسيطر عليها فوافق الأمير يعقوب ، وتمكن أبو دبوس بهزيمة الخليفة الموحدى ودخل أبو دبوس مراكش وتخلى عن وعده للأمير يعقوب[٢] فاضطر الأمير لمواجهته في وادي غفو عام ٦٦٦هـ/١٢٦٧م وأثناء المعركة قتل أبى دبوس عام ٦٦٧هـ/١٢٦٨م ، ودخل الأمير يعقوب مراكش في شهر محرم عام ٦٦٨هـ/١٢٦٩م[٣]

وانتهت بذلك دولة الموحدين بالمغرب على يد المرينيين وانقسم المغرب إلى دول ، فقامت الدولة المرينية بالمغرب الأقصى والدولة الحفصية بالمغرب الأدنى ، وبنو عبد الواد بالمغرب الأوسط.[٤]

ويعتبر السلطان يعقوب المؤسس الحقيقي للدولة المرينية واتخذ من مدينة فاس عاصمة لهم.[٥] وعزم أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق المرينى (٦٥٦-٦٨٥هـ/١٢٥٨-١٢٨٦م) بعد أن تمهدا ملكه في المغرب أن يختط بلدا ينسب إليه ويتخذه داراً لملكه ، ومركزا لسلطانه يسكنه هو وحاشيته وأولياؤه ، وسمح للناس باختطاط الدور والمنازل به وأجري فيها المياه إلي القصور وأقام القناطر بطرقاتها وأطلق عليها المدينة البيضاء المعروفة بفاس الجديد. [٦]

---

[١] مجهول :الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، حققه سهيل زمامه ، وعبد القادر زمامه ، دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء ، المغرب ١٩٧٩ ، ص ١٦٩،١٧١، ابن أبي زرع : الأنيس ،ص ٣٠٥

[٢] ابن أبى زرع : الذخيرة ، ص ١٠٩، ١١١ ، الأنيس ، ص ٣٠٤ .

[٣] ابن أبى زرع : الذخيرة ١١٧، المقري: نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ١٩٨٨م جـ٤، ص ٣٨٤ ، السلاوى : مصدر سابق ، جـ٣، ص٢٧

[٤] حسن حسنى عبد الوهاب: ورقات عن الحضارة العربية بإفريقيا التونسية، طـ٢، مكتبة المنار، تونس، ق١ ص ٤٥٤ .

Burck hardt (t); Fez City of Islam the Islamic texts society Cambridge 1992, P.42

[٥] ابن الوردي: تتمه المختصر في أخبار البشر، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ١٩٧٠ ، ص٣١٧.

ابن غازي : الروض الهتون ، ص٧٥ ، عثمان إسماعيل : الفنون التطبيقية ، ص٦٤.

[٦] العمري: مصدر سابق ، ص١٧٧ .

٣- تأسيس فاس الجديد

مع انتقال الملك من الموحدين إلى المرينيين اتخذوا مدينة فاس دار ملك لهم ، وبنو بها ثلاث ضواحي موازية لها على ضفة الوادي المعروف بوادي الجواهر[١] فالمدينة البيضاء والتي تعرف بالبلد الجديد ، أمر السلطان أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق ببنائها ثالث شوال عام ٦٧٤ هـ/١٢٧٥م ، وجمع لبنائها الايدى العاملة وحشد الصناع والفعلة واختطوا بها الدور والمنازل وأجرى فيها المياه إلى قصورها .[٢]

وتزيد فاس الجديد على فاس العتيقة في الحصانة والمنعة فأسوارها دائرية محصنة ذوات بروج وبدنات وجميع أبنيتها من الحجر الأحمر والكلس موثقة البناء، مشيدة الأركان ، ولها سورين من الطين المفرغ بالقالب من التراب والرمل والكلس المضروب وهو اشد من الحجر.[٣]

والجدير بالذكر أن عملية بناء مدينة فاس الجديد تمت بعد يوما واحدا فقط من الثورة التي قام بها العامة على اليهود بمدينة فاس العتيقة عام ٦٧٤هـ/١٢٧٥م حيث قتل منهم أربعة عشر يهوديا .[٤]

فقد عزم المنصور بالله أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني ، بعد أن تمهدا ملكه في المغرب أن يختط بلدا ينسب إليه ويتخذه داراً لملكه ، ومركزا لسلطانه يسكنه هو وحاشيته وأولياؤه فانشأ مدينة فاس الجديد .[٥]

وتتكون المدينة الجديدة من ثلاثة أحياء ، حي القصر ويضم الجامع الكبير ومنازل الأمراء والأثرياء وهى المدينة البيضاء ، وحى ربض النصارى وهو يقع بعيدا عن النهر أمام

---

(١) ابن أبى زرع : الأنيس ، ص ٣٣٢، محمد المنونى: ورقات ، ص ٥٤٩.

(٢) ابن أبى زرع : مصدر سابق ، ص٣٣٢، ابن خلدون: مصدر سابق، جـ٧، ص١٩٥، روجيه لوطورنو: فاس عصر بني مرين ،ص ٣٣، قبل الحماية ، ص٩٦، إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ ، جـ٢، ص٢٤.

(٣) العمري: مصدر سابق، ص١٧٩.

(٤) Maya shatzmiller: un Facteur Ethnique Social medievale le role de ans Juifs les merinides,p.297.

(٥) العمرى : مصدر سابق ، ص ١٧٧.

فاس القديم ، ويضم الميليشيا النصرانية التي اتخذها المرينيون لخدمتهم ، وحي حمص أو حي الملاح ويضم اليهود وبني الملاح على ضفة النهر.[1]

كانت فاس الجديد مدينة عسكرية وإدارية ، إلى جانب ذلك ضمت المدينة العديد من الجوامع والمساجد منها الجامع الكبير والذي تم بناؤه في رمضان عام ٦٧٧هـ/ ١٢٧٨م حيث أقيمت فيه الصلاة ، وضمت هذه المدينة عددا من المآذن والحمامات والأسواق.[2]

واهتم سلاطين بنو مرين بالنهضة العلمية بفاس الجديد حيث كان للسلطان أبي سعيد المرينى فضل كبير في بناء المدارس.فأمر ببناء مدرسة فاس الجديد عام (٧٢٠ هـ/١٣٢٠م) ورتب للطلبة المرتبات ، وحبس عليها الرباع والمجاشر.[3]

واهتم أيضا بالجوامع فأنشأ جامع الحمراء بفاس الجديد ، وجامع الزهر عام (٧٥٩هـ/١٣٥٨ م) ويعد من أجمل آثار مدينة فاس.[4]

وانتشرت بمدينة فاس الجديد الكثير من الفنادق ، منها فندق الشماعين ، وفندق الملجوم، وفندق الغرباء، وفندق الحدودي وفندق التجار، وفندق الزيت ، وفندق الرضاع وفندق خنوسة وابن حيون، ويوجد فندق كبير للأسري المسيحيين يصنعوا فيه أدوات من الحديد .[5]

بالإضافة إلى أسواق مدينة فاس القديمة نشأت أسواق أخرى في فاس الجديد التي بناها السلطان يعقوب بن عبد الحق المرينى (٦٥٦ -٦٨٥هـ/١٢٥٨-١٢٨٦م) الذي قام بإقامة أسواق بالمدينة البيضاء سنة ٦٧٩ هـ/١٢٨٠. حيث وجدت أسواق عديدة انتشرت في

---

(1) العمري : مصدر سابق ، ص١٧٨، القلقشندى: مصدر سابق ، جـ٥، ص١٤٩، محمد المنونى : ورقات، ص٥٠١ ، روجيه لوطورنو: فاس قبل الحماية ، ص١٠١.

(2) محمد المنونى : ورقات ، ص٥٠٣. روجيه لوطورنو: فاس قبل الحماية، ص٩٨، روجيه لوطورنو: فاس عصر بني مرين، ص ٣٤ ، السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ، الإسكندرية ص ٤٤٠.

(3) ابن أبي زرع : مصدر سابق ، ص٤١٢ ، الوزان: مصدر سابق، ص٢٢٥

(4) حسين مراد :الأوقاف مصدرا لدراسة مجتمع فاس، ص٥٨،٥٧.

(5) مارمول : مصدر سابق ، ص ١٥٧، روجيه لوطورنو : فاس قبل الحماية ، ص ١٩٩ عبد الوهاب الدبيشي: توزيع المرافق الاقتصادية بفاس المرينية ، كلية الآداب ، الدار البيضاء ، القسم الثاني ١٤٠٩ هـ /١٩٨٩ م أعمال ندوة التجارة وعلاقتها بالمجتمع والدولة عبر تاريخ المغرب ص ٤٥ .

الأزقة الضيقة وكانت تغطى بالخيزران الواقي من الشمس وأحيانا بالكروم حيث يتجول الفرد بها وكأنه داخل بناية واحدة [1]

لقد انتشرت أسواق الصاغة في فاس الجديد وكانت سوق الصاغة تضم عدد كبير من دكاكين الصائغين ، وعمل بها عدد كبير من اليهود ، وكانت تحمل من فاس الجديد إلى المدينة القديمة لبيعها في سوق معد لها بالقرب من سوق العطارين ، فوجدت هناك سويقة الذهبان المجاورة للصاغة . [2]

خلال العصر المريني أصبحت فاس الجديد بما ضمت من أسواق وفنادق مركزا هاما للتجارة الداخلية والخارجية ، فقد عمل سلاطين بنو مرين على ازدهارها اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا .

---

[1] عبد القادر زمامة : مرجع سابق ، ص ٩١.

[2] الوزان : مصدر سابق ، ص ٢٥٩.

obeikandl.com